دراسة عنصري الشخصية و الزمن في رواية «البحث عن وليد مسعود» لجبرا إبراهيم جبرا

رقية رستم‌پور ملکی*

أستاذة مساعدة بجامعة الزهراء – طهران

ناهيد پيشگام

خريجة الماجستير – قسم اللغة العربية و آدابها – جامعة الزهراء

الملخّص

جبرا إبراهيم جبرا (١٩٢٠-١٩٩٤ م)، فضلاً عن كونه شاعراً إنّه روائي ناقد قد بث آراءه في الرواية في كتبه النقدية.

تشتمل آراء جبرا النقدية على عناصر الرواية (الشخصية، المكان ، الزمان، الحدث، الحوار و ...) وبما أن رواية «البحث عن وليد مسعود» نموذج من رواياته التي تمتاز بقوة عناصرها، لهذا جاء هذا البحث ليلقي الضوء على آراء جبرا إبراهيم جبرا في عنصري الشخصية و الزمن معتمداً على المنهج الوصفي – التحليلي للتعرف على إبداعه النقدي و مدى تطبيق آرائه عن الشخصية و الزمن في هذه الرواية .

الكلمات الدليلية: جبرا إبراهيم جبرا، الشخصية، الزمان، رواية «البحث عن وليد مسعود».

---

*. E-mail: rostampour2020@yahoo.com

تأريخ الوصول: ١٣٩٠/١٠/٠٩؛ تأريخ القبول: ١٣٩٠/١١/١٣

المقدمة

ظهرت الرواية العربية بشكلها المتطور مع تقنياتها الجديدة في القرن العشرين. فلذلك تعدّ الرواية بهذا الشكل من مظاهر العصر الجديد.و بعد ذلك مع ظهور الرواية و اهتمام الأدباء بها شاهد الأدب العربي في ساحته النقدية تحولاً هاما و هو ظهور نقد الرواية في النقد الأدبي. فلذلك اهتمّ بها النقاد و أدخلوا فيها تقنيات و مصطلحات حديثة. إنّ بعض الروائيين نزع إلى نقد الرواية، و خلق علاقة بين الإبداع و النقد، من هؤلاء الأدباء النقاد جبرا إبراهيم جبرا. له آثار إبداعية و نقدية في الرواية و الشعر ونظرياته النقدية تساعد الأدباء في خلق أثر جادّ.

١) الشخصية

الشخصية (character) مأخوذة من الكلمة اليونانية Karassain، وهي أشخاص مصنوعة في الرواية و المسرح و ... تتجلى في الشخصية حالات و أحاسيس الروائي و تظهر قيمة الشخصية في علاقتها مع العناصر الأخرى في الرواية . للشخصية ميزات خاصة تنبع من الواقع، و مع هذه الميزات تظهر في الرواية أو المسرح .

«الشخصية الروائية هي غالباً كائن مصنوع من صفات بشرية و أعمال بشرية. لهذا تتشابه الشخصية الروائية و الكائن البشرى و لهذا أيضاً تختلف الشخصيات الروائية الواحدة عن الأخرى في الصفات و الأعمال و الأدوار و الأهمية كما يختلف أفراد البشر.» (زيتوني، ٢٠٠٢ م، ١٠٠)

إنّ الشخصية إحدى العناصر الأصلية في الرواية و صورة من العالم الواقع و الكاتب يخلق شخصيات رواياته على أساس شخصيات واقعية. يمكن أن تكون هذه الشخصية من الشخصيات التي قد شاهدها أثناء حياته. «الشخصية الروائية تُخلق عادة من مجموعة الخصائص المختلفة للشخصيات. و الكاتب يجمع الخصائص و الصفات التي قد شاهدها في الأشخاص المختلفة في شخص واحد و يخلق شخصية روايته.» (يونسى، : ١٣٨٤ ه.ش، ٢٨٠) و يمكن أن يرسم شخصية تتصوّر شخصية الكاتب نفسه و أكثر شخصيات رئيسية في الرواية تعبّر عن شخصية الكاتب و الصفات التي يتصف بها الشخصية تطابق على شخصية الكاتب. بعض النقاد – مثل محمد كامل الخطيب – يرفضون هذا و يعتقدون بأن العلاقة بين المؤلف و شخصيات رواياته أمر سلبي و ضعف لخيال الروائي. (عمار، ٢٠٠٧ م، ١٧).

الشخصيات الروائية تشبه الشخصيات الواقعية في المجتمع، إذ يعتبرها بعض النقاد نسخة من أفراد المجتمع. لها ميزات و صفات الأشخاص الواقعية و لكن قد صرّح بعض الكتّاب بأنّه لا يمكن أن تكون شخصية الرواية نابعة عن شخصٍ واحد، بل إنها مجموعة من ميزات أشخاص مختلفين في المجتمع. (عبداللهيان، ١٣٨١ ه.ش، ٨٧). و لذلك،ذهب البعض إلى أنّ الروايات مصادر موثوق بها لمعرفة ميزات المجتمع و الكشف عن معاييه. (براهيني، ١٣٦٨ ه.ش، ٢٨٩)

١-٢)أنواع الشخصية

قسم بعض النقاد الشخصية إلى قسمين :

١-١-٢) الشخصيات الثابة ذات المستوى الواحد (الشخصيات البسيطة أو المسطحة)

هذا النوع من الشخصيات «شخصيات بسيطة و غير معقدة في صراعها كما إنها تمثّل عاطفة واحدة من أول الرواية حتى نهايتها، و يعوزها عنصر المفاجأة، و هي أيسر تصويراً و أضعف فناً و السبب في ذلك أن صراعها مع الأحداث قائم على أساس بسيط، و من هذه الشخصيات الثابتة، شخصية الشيخ درويش في "زقاق المدق" لنجيب محفوظ .» (حمدان، ١٩٩١ م، ٧٤)

أن هذه الشخصيات لاتتأثر بالأحداث و لاتؤثّر عليها الأحداث مستواها الواحد و الثابت يعرَف بالصفات المحددة ولايؤثر عليها أي شي ء و قد تسمّى بالشخصيات غير النامية أيضاً.

٢-١-٢) الشخصيات النامية

إن الشخصية النامية تتحوّل و تتغير أثناء الرواية، و هذه التحولات و التغييرات يمكن أن يسبّب تقدمها أو عدم تقدمها. و لذلك، في نهاية الرواية، شخصيته تختلف عن الشخصية التي كانت في بداية الرواية.

«هي الشخصيات التي تنمو و تتطور شيئاً فشيئاً في صراعها مع الأحداث، و هي تنكشف للقارئ كلما تقدّمت في القصة، و هي غنية بالعواطف الإنسانية المعقدة و من الشخصيات النامية، شخصية "عباس الحلو" في زقاق المدق لنجيب محفوظ، و شخصية "أحمد عاكف" في خال الخليلي" و شخصية الصحفية "سمارة" في "ثرثرة فوق النيل" لنجيب محفوظ». (حمدان، ١٩٩١ م، ٧٤)

الكاتب بعد حضور الشخصيات في الرواية، يحاول أن يعرّف الشخصيات إلى القارئ بطرق شتى يسمّى هذا العمل «رسم الشخصية». إنّ الكاتب يعرض أخلاقا و عملا خاصا من الشخصيات مع تحليلها و تقديم الأوضاع العائلية و الإجتماعية للقارئ. (براهيني، ١٣٦٨ ه.ش، ٢٨٥؛ مقدادى، ١٣٧١ ه.ش، ٣٣٤؛ بيشارب، ١٣٨٣ ه.ش، ١٤٤)

يتم رسم الشخصية بطريقتين : المباشرة و غير المباشرة. في الطريقة الأولى يعرّف المؤلف الشخصيات بالطريقة المباشرة و لذلك إن القارئ يحسّ بحضور المؤلف و الراوي في النص دائماً. ولكن في الطريقة الثانية يصف الكاتب الشخصيات بأعمالهم و أخلاقهم بحيث القارئ يكشف عن خصائص و صفات الشخصية دون حضور الكاتب و الراوى. للطريقة غير المباشرة أساليب مختلفة منها: الاسم، البيئة، الحوار، العمل و ... يعنى، الكاتب، يعرّف شخصياته بهذه الطرق. قد يعرّف شخصيته ببيئة تعيش فيها، أو يمكن أن يعرف القارئ الشخصية من خلال حواره و ...

٤) الزمن

إنّ الزمن من عناصر هامة و رئيسية في الرواية «يشغل الزمن – بنمطيه الحكائي و السردي– حيزاً واسعاً في عالم القصة و الرواية ، إذ من دون الزمن لايمكن للقصة و الرواية أن تقوم أو أن يستقيم وضعها السردي، و من خلال الزمن يستطيع الكاتب أن يتحكم في إدارة دفّة الأحداث، فيسرعها و يبطئها، و يلعب بها كيف ما يشاء.» (عبيد، ٢٠٠٨ م، ٥٠)

إنّ الرواية قائمة على الزمن لايمكن حذف الزمن من الرواية ؛ إذ دون وجود الزمن لايحدث أى حدث، و تتحرك و تتطور الشخصيات و الأحداث أثناء الزمان.

١–٤) تقنيات الزمن

١–١–٤) الاستباق

«هو مخالفة لسير زمن السرد تقوم على تجاوز حاضر الحكاية و ذكر حدث لم يحن وقته بعد. والاستباق شائع في النصوص المروية بصيغة المتكلم و لا سيما في كتب السّير و الرحلات حيث الكاتب و الراوي و البطل أدوار ثلاثة يمثلها فرد واحد. و هذا الاختلاط في الأدوار يؤدّي إلى تداخلها و بالتالي إلى تداخل أزمانها.و يتخذ الاستباق أحياناً شكل حلم كاشف للغيب أو شكل تنبؤ أو افتراضات صحيحة نوعاً ما

بشأن المستقبل. و الاستباق أنواع مختلفة باختلاف موقع الحدث المستبق في زمن السرد الأولى أي زمن حكاية الراوي الأساسية.» (زيتونى ٢٠٠٢ م، ١٥-١٦)

إنها من تقنيات هامة تعلن عن حدث لاحق و لذلك تحثّ القارئ على قراءة النص حتى نهايته، هذه السمة و خلق حالة الانتظار في القارئ من ميزات جيدة في الرواية، هذه الحالة تحفز القارئ على خلق أحداث في ذهنه و تفتح أمامه التفكير في الأحداث،حيث يتصور في ذهنه أحداث مقبل.

٢-١-٤) الاسترجاع

«مخالفة لسير السرد الروائي تقوم على عودة الراوي إلى حدث سابق، و هو عكس الاستباق. و هذه المخالفة لخط الزمن تولّد داخل الرواية نوعاً من الحكاية الثانوية. و لا شيء يمنع أن يكون الاسترجاع موضوعيا Objective (مؤكدا) أو ذاتيا Subjective (غير مؤكد). أما وظيفته فهي غالباً تفسيرية :تسليط الضوء على ما فات أو غمض من حياة الشخصية في الماضي، أو ما وقع لها خلال غيابها عن السرد.» (زيتوني، ٢٠٠٢ م، ١٨)

قد ذكر للاسترجاع تسميات أخرى هي: الاستذكار، اللواحق، الاستحضار، الرجعة، الارتداد، الارتجاع الفنى

لهذا، تقنية الاسترجاع من التقنيات الهامة في الرواية، فيها يرجع الكاتب، أثناء روايته إلى الماضي، و يتحدّث عما حدث في الماضي، و يتداخل قصة أخرى في القص، و يفصل القارئ لحظة عن الحاضر و يذهب به إلى الماضي.

خلاصة الرواية «البحث عن وليد مسعود»

رواية «البحث عن وليد مسعود» لجبرا إبراهيم جبرا، طبعتها دار الأدب مرتين، طبعتها الأولى عام ١٩٧٨، و طبعتها الثانية عام ٢٠٠٧، تدور الرواية حول وليد مسعود، الشخصية الرئيسية فر الرواية الذي قد اختفي، و أصدقائه الذين اجتمعوا ليبحثوا عن سبب اختفائه، هذه الرواية مكّونة من ٣٨٢ صفحة و ١٢ فصلاً، و يرويها عدة الرواة. بما أن للرواية تعدد الرواة، فلها وجهات النظر المتعددة.

تبدأ الرواية باختفاء وليد مسعود، إنه كان قد ترك سيارته على الحدود الأردنية العراقية، فيها شريط سجّل فيه صوته، و تحدّث عن ذكرياته. بعد ذلك يجتمع أصدقاؤه في بيت عبد الحميد عامر للبحث عنه و كلهم يتذكرون ذاكرتهم عنه ليساعدوا في كشف عن سبب اختفائه، إنّهم يشيرون إلى علاقاته السياسية

والغرامية و قدبيتعدون عن الموضوع الرئيسي و في النهاية لم يذكر جبرا سبب اختفاء وليد و يفتح النص أمام القارئ.

الشخصية

رواية «البحث عن وليد مسعود» تتكوّن من ١٢ فصلاً، و شخصياتها الرئيسية هم رواة الرواية، هؤلاء : وليد مسعود، الدكتور جواد حسني، عيسى ناصر، الدكتور طارق رؤوف، مريم الصفار، وصال رؤوف، مروان وليد، إبراهيم الحاج نوفل.هؤلاء من المثقفين و العرب.

إن جبرا في رواياته يعتمد على الشخصيات، فلذلك، «إن رواية « البحث عن وليد مسعود» هي الرواية الشخصية، الشخصية الرئيسية.» (سليمان، ١٩٩٩م، ٣٦٩).

إن أكثر شخصيات روايته شخصيات بسيطة؛ لأنها لا تخلق أحداثاً مؤثرة في الرواية، إن جبرا يجمعها لبحث عن موضوع اختفاء وليد فقط.هذا لا يعنى إنّ الرواية تخلو من شخصيات فاعلة ناميه، لكن شخصيات نامية فاعلة فيها قليلة، هذه الدراسة تشير إلى هذه الشخصيات النامية و الشخصيات البسيطة المسطحة في الشخصيات التالية.

١) وليد مسعود

وليد مسعود هو الشخصية الرئيسية في رواية «البحث عن وليد مسعود»، في الحقيقة، الرواية خُلِقَت للبحث عنه؛ إذ إنه قد اختفي، إنه يلعب دوراً اجتماعيا في علاقته مع الشعب، و آلام الناس، عندما يتكلم عن معاناة الناس، كما أن له دورا سياسيا في علاقته السيئة مع سلطة الحكام الظالمين؛ إذ الخوف قد سيطر على المجتمع من هؤلاء الحكام، كما له صلة بمنظمة فدائية لانتقام استشهاد ابنه مروان بن وليد و يلعب دوراً غراميا في علاقته مع النساء، و دوراً دينيا في صلته مع الدير و تدريسه فيه و ذهابه إلى الكهف لتعبد الله، و سفره إلى إيطاليا ليلحق إلى الدير و يدرس فيه.فلذلك على أساس ما يذكر من أحداث مختلفة طوال حياته إنه يعتبر شخصية فاعلة و نامية.

إنّ «إبراهيم خليل» يصرح بأن: «وليد مسعود إذا يمثل نموذجاً لمثقف فلسطيني تميز على الدوام بآرائه الجريئة و الحرة و مؤلفاته العميقة مثلما يقال عنها في الرواية.» (خليل، ٢٠٠١ م، ٤٢)

لهذا، إنّ وليد هو محور السرد، و الرواة في جميع الفصول يتحدّثون عنه، لكشف شخصيته الحقيقة، يبدو أن جبرا يكشف عن خصائص شخصيته في بعض الفصول عندما يتحدّث على لسان وليد.

٢) مريم الصفار

مريم الصفار في هذه الرواية من الشخصيات الرئيسية بعد وليد مسعود، و اختصّ معظم مضمون الرواية بها، إنّ الدكتور طارق رؤوف و وصال رؤوف يتحدثان عن علاقة وليد بها بكثير.

إنها شخصية فاعلة مريضة، تلعب دوراً غراميا، خاصة مع وليد مسعود و مع ذكر هذه ذكرياتها الغرامية حاولت أن تؤثر في كشف شخصية مسعود و سبب اختفائه. إنها نموذجة سيكولوجية كانت تختلف مع زوجها، و جبرا يقدّم لها شخصية خائنة لزوجه، و يذكر أحداث شتى منها : هي اختلافها مع زوجها و طلاقها، بعد ذلك جنونها، ثم علاقاتها الغرامية مع عامر عبدالحميد و وليد و طارق رؤوف، فلذلك إنها تعدّ شخصية فاعلة متنامية .

٣) جواد حسني

إنّ جواد حسني إحدى الشخصيات الرئيسية في هذه الرواية، و لم يلعب دوراً هاماً فيها، رغم أنه أول من قد أخبر باختفاء وليد، جمع أصدقائه لكشف عن أسباب اختفائه.إنه يتطرّق إلى ذكر أفكار وليد سياسيا، اجتماعيا.

«لم تكن شخصية جواد حسني قدرة فاعلة على مستوى الحدث و إنما هي قدرة تنظيمية مشرفة على مسيرة الأحداث و على تنظيمها و لانستطيع أن نتوهم لهذه الشخصية قواماً متماسكاً خاصاً لأنها لم تستطع أن تظهر ذاتها بمظهر الشخصية الفاعلة على الرغم من حضورها الأكثر كثافة على مستوى المساحة الروائية ». (حسين، ١٩٩١ م، ٧٤). فلذلك، رغم اختصاص معظم الروية بنفسه، شخصيته ذات مستوى واحد، و بسيطة ساردة.

٤) وصال رؤوف

وصال رؤوف شخصية أخرى في هذه الرواية.إنماتحدّث عن بداية تعرفها بوليد و تشير إلى أحداثها معه، و ترمز إلى علاقة وليد معها و مع النساء الأخريات، و تذكر ذكرياته مع مروان بن وليد، ابن وليدمسعود. إنها لم تكن شخصية نامية لكن مع تكلمها عن علاقة وليد الغرامية تكون شخصية فاعلة في كشف شخصية وليد مسعود.

٥) طارق رؤوف

طارق رؤوف إحدى رواة هذه الرواية، و هو من أصدقاء وليد، إنه كان طبيباً نفسانيا لمريم الصفار، له علاقة غرامية مع مريم الصفار بعد أن راجعت إليه لمعالجة مرضها النفساني، و يلعب في الرواية، من البداية إلى النهاية، دوراً راويا فقط.فلذلك رغم أنه لطارق دور مؤثر في فهم لغز الرواية، لكن لم يتحدّث عن أحداث حياته التي تؤثر في تغيير شخصيته، فلذلك، شخصيته في هذه الرواية شخصية بسيطة.

٦) عيسى ناصر

إنّه إحدى شخصيات هذه الرواية الذي يقوم بسرد سيرة الوليد الذاتية، و لو يمكن أن يؤثر ذكر سيرته في كشف سبب اختفائه، لأنه يشير إلى أعماله السياسية، و لكنه لم يكن فاعلا في علاقته مع وليد.يعني صلته بوليد لم يساعد في الكشف عن شخصية وليد. إنّ شخصية عيسى ناصر، على أساس ما قلنا عن الشخصية في الفصل القادم، لم تكن مؤثرة في الرواية، بل، إن جبرا يكتفي بكونه شخصية راوية. فلذلك يمكن هذا القول أن شخصيته ليست مؤثرة فاعلة.

٧) إبراهيم الحاج نوفل

إبراهيم الحاج نوفل من الشخصيات الرئيسية التي كانت له علاقة حميمة مع وليد إنه يتحدّث عن عمليات وليد السياسية، وحياته الغرامية أيضاً، إن دور إبرهيم في هذه الرواية دور السارد للرواية فقط.و لم يتكلم عن حادث هامّ.لإبراهيم الحاج نوفل علاقة مباشرة مع وليد و ذكرياته تساعد في كشف هويته.ولكن شخصيته شخصية غير ناشطة في خلق أحداث الرواية. تكتفي بذكر ذكرياته البسيطة مع وليد فقط .

٨) مسعود فرحان

إن مسعود فرحان، والد وليد، هو شخصية أخرى تساعد في معرفة شخصية وليد. إنّ عيسى ناصر يتحدّث عن حياة مسعود فرحان و يذكر أنّه قد اجتازالأوضاع الصعبة في حياته الاقتصادية والسياسية.و

مصيبة موت ابنه أعظم مصيبة حياته .إن شخصية مسعود فرحان أكثر فاعلية من الشخصيات الأخرى بعد وليد.

إنّ عيسى ناصر يذكر أحداث حياته الهامة : تغيير عمله من سائق العربة إلى سائق السيارة، سفره إلى خارج البلد للعمل و.. أنه تحوّل و تغير من خلال هذه الأحداث، لم تكن شخصية ثابتة و مسطحة.بل إنها فاعلة معقدة نامية.

و من شخصيات أخرى في حياته التي قررمعها للهروب إلى الكهف هي سليمان و مراد، و يتحدث عن مروان أيضاً، إنّه كان محارباً وطنيا ، شخصيته شخصية فاعلة مؤثرة و كاظم إسماعيل من القصاصين الذي يناقش وليد معه و ناقض رأيه مع رأى وليد و في هذه الرواية قد ساهم في كشف هوية وليد.و أما عبد الحميد عامر هو الذي قد اجتمعت شخصيات الرواية في بيته للكشف عن سبب اختفاء وليد، و لكن شخصيته ليست شخصية نامية.إذن لمح جبرا في هذا الفصل من الرواية إلى شخصيات فرعية أخرى رغم أنها لم تكن مؤثرة و فاعلة، مثل شخصية جنان الثامر، سوسن، شهد، رباح كمال، الشيخ سالم، إحسان البصري و زوجته فهاد، سميرة، عبد و ...

الزمان

يعتبر الزمان عنصراً فاعلاً في كل أثر إبداعي. و في رواية «البحث عن وليد مسعود» هو من العناصر الأصلية، و له دور هام في الكشف عن شخصية وليد، لأن الشخصيات للبحث عن الحقيقة يستمدون من الزمن، و يرجعون إلى الماضي ، و يتذكرون الزمان الذي كانوا معه.

إنّ الزمن يختصّ قسماً هاماً من حياة البشر بنفسه؛ إذ إن الإنسان في حياته يعتمد على ذكرياته، و ذكرياته هي التي تخلقها الزمن الماضي. إنّ الرواية قائمة على الزمن، لايمكن حذفه من الرواية.إنّ الزمن ضرب من التاريخ، كما هو التاريخ ضرب من الزمان (سليمان، ٢٠٠٣ م، ١٤٥).

توظيف الذكريات في روايات جبرا، خاصة، رواية «البحث عن وليد مسعود » من أبرز تقنيات يستمد منها في التحدّث عن الزمن.

«تمتدّ رواية «البحث عن وليد مسعود» زمنيا لتغطي أكثر من خمسين سنة تبدأ منذ ولادة «وليد » و تستمر إلى اختفائه بعد تلك السنين الطويلة.» (جنداري، ٢٠٠١ م، ٦٧)

إنّ جبرا قد اهتمّ بالزمن في رواياته، اهتماما خاصاً، و نرى هذا الأمر بوضوح في رواية «البحث عن وليد مسعود»، إن جبرا قد يمزج الثلاثةلأزمنة، الماضي و المضارع و الحاضر، قد يستهلّ الرواية بجواد حسني و هو في الزمن الحاضر و يرجع إلى الماضي ليخبر عن اختفاء وليد، إن جبرا قد كرّر هذا الاسترجاع في

فصوله، و هذا يدل على أن الزمن من العناصر الهامة في رواياته، و يمكن هذا القول بأن أساس رواياته ثلاثة عناصر: الشخصية، الزمن و المكان.

آراؤه النقدية

إنّ جبرا من رواد الحداثة، خاصة في النقد و الإبداع، و أدخل في النقد مصطلحات جديدة لم تعرفها اللغة العربية. «الناقد جبرا يرفض استخدام مصطلحات قديمة.شرط أن يضفي عليها دلالات حديثة تنبع عن تجربتنا المعاصرة.» (حمود، ١٩٩٧ م، ٩٧)

و يذهب إلى أن الأمور العادية لا تجدر بالنقد؛ لأن الناقد لا يكشف عنها شيئاً جديداً للتأثير في الأحاسيس، و أن يتحدث النقاد عنه، و على هذا الأساس قال: «النقد، عندي عملية استغوار و كشف و أنا بالطبع لا أستطيع استغوار ما لا غور له، أنا بمجرد إقبالي على بحث عمل أدبي، أقر ضمناً بإعجابي به و إحساسي بقيمته». (جبرا، ١٩٨٣ م، ١٣٠).

و من ميزات نقده كونه مبدعاً؛ ذلك أن من ضروريات النقد هو تعامل الناقد مع المبدع و تعامل النقد بالإبداع، و هو الذي قد نجح في هذا المجال، و كل مبدع لا يقدر على أن يصبح ناقداً؛ إذ على الناقد أن يزوّد نفسه بمعلومات كثيرة و لكن الأديب قد يكتب رواية أو قصة جميلة رائعة دون حاجته إلى معلومات كثيرة؛ لأنها قد تنبع عن ذوقه و إحساسه.على أساس هذا التعامل أكد جبرا على أن النقد هو نوع من الإبداع و الإبداع لا يستطيع أن يتأثّر بالنقد، جبرا قد استطاع أن يربط النقد بالإبداع و يجعل بينهما علاقة واضحة .

إن عملية الإبداع و مطالعاته في الكتب الحديثة و ترجماته من الكتب الأوروبية ساهمت في خلق آراء نقدية و تكوين شخصية ناقدة، و لذلك، نلاحظ أنه قد استعان بتجربته الإبداعية في النقد.

إن الرواية العربية، في بداية ظهورها، كانت ضعيفةً في التحليل، و أشكاله، كما يؤكد العشماوي عليه قائلاً: «ضعف الرواية العربية مردها في الغالب إلى القصور في التحليل في شتى أشكاله: تحليل الشخصية أو تحليل الحدث إلى عناصره المسببة، أو تحليل الظروف المحيطة بالشخصية أو بالحدث إلى آخر ما هناك من أنواع التحليل التي يجب على الكاتب أن يمارسها تدريباً لبصره و ذهنه و فنه، فإذا عجز عن التحليل كان بناؤه القصصي قاصراً.» (العشماوي، ٢٠٠٠ م، ٣٢٥)

إنّ جبرا إبراهيم جبرا كان يعتقد بأن الناقد يجب أن يكون متخصصاً فيما ينقد و يعاني من وجود النقاد غير المتخصصين؛ لأن نقادالرواية أكثرهم من الكتاب السياسيين أو من الشعراء، إنهم ينظرون إليها كمقالة

سياسية أو شعر. و لكن نقدها من وظائف الروائي؛ لأنه هو الذي كتبها و يعرف عيوبها.و بما أنه كان روائيا لذلك مال إلى النقد ليعطي الناشئين أساليب الكتابة الصحيحة.

أهم آرائه في النقد هو في الشخصية و الزمن، هذان العنصران من العناصر الهامة في خلق الرواية.هذه الدراسة تتطرق إليهما فيما يلي :

الشخصية

الناقد جبرا يرى أنّ الشخصية وسيلة لبيان إحساس الروائي؛ فيخلق شخصيات مختلفة لتلعب دوراً يرغب فيه كاتب الرواية، و هذه الشخصيات تمثل شخصيات يتعامل معها الكاتب في ذهنه فلذلك يمثلها في كتاباته الروائية.الشخصيات التي يتصوّرها الروائي في روايته تمثّل الشعب.الشخصيات التي يخلقها الكاتب خلال رواياته، هي من الأفضل أن تكون من أفراد المجتمع الذين يدركون الناس و آلامهم.و يعتقد بأن الشخصيات لابد أن تكون حية و مقنعة بالقدر الكافي.

إنه يرى أن غرض الروائي من كتابة الرواية يجب أن يكون معالجة معاناة المجتمع، و يذهب إلى أن المثقفين هم الذين يقدرون على معالجتها؛ لأنهم – بسبب مطالعاتهم وتجاربهم الكثيرة من أسفارهم إلى البلاد الأوروبية – هم الذين يغيرون المجتمع، و يقول: لقد غير المثقفون العرب وجه المجتمع العربي في ثلاثين سنة تغييراً يكاد يكون كليا.و مجتمعنا من أشد مجتمعات العالم سرعة في التطور. (جبرا، ١٩٩٢م، ٦٥)

يعتقد جبرا بأنّ المثقفين هم الذين يقودون المجتمع نحو التقدم و أنهم يتميزون به بسبب وعي لذات الأمة و قواها الفكرية و يقول قد قلّ من شأن المثقف في المجتمع و إنه بحاجة مساعدة المجتمع لقدرة على تغيير المجتمع.

إنه يعتقد بانسجام شخصية الرواية مع شخصية الكاتب فلذلك يمثّل شخصيات في رواياته يستطيع أن يفهمها و يعاطف معها. و من ميزات الشخصيات، اختلافهم مع الشخصيات الأخرى في الروايات، يعني الشخصيات تختلف بعضها مع البعض و هذا أمرٌ طبيعي. (حمود، ١٩٩٧م، ١١٢-١١٣)

إنّ رأي جبرا هذا، حول الشخصية لا يختلف عن آراء النقاد الآخرين في الرواية و الرأي المشترك، هو أنّ الشخصية صورة من عالم الواقع، و مهمة الكاتب خلق شخصيات على أساس خصائص و صفات مختلفة الإنسان، أو ربما أن تكون الشخصية صورة عن شخصية الكاتب نفسه، كما نرى صورة جبرا نفسه في رواياته، ولكن نظرته الجديدة عن الشخصية، هي، التأكيد على مهمة الكاتب في توظيف المثقفين و النخب شخصيات لرواياته، فيلاحظ أنّ هذا رأي جديد في الأدب النقدي للرواية.

الزمن

جبرا يهتمّ بالزمن في الرواية، و الشخصيات تتحرك في الزمن. إنه يدعو الكاتب إلى استخدام الزمن حسب ما يقتضيه الرواية ماضيا أو حاضراً أو مستقبلاً. و يطلب من الكاتب أن يعبر عن الأحداث في الزمن.

إن الزمن في روايات جبرا ليس واعيا، و يرى أن زمنها فطريّ، بما أن الزمن احتلّ ناحية من تفكيره و ذهنه فلذلك حين يبدأ بالكتابة، لايحدد زمنها، بل يبدأ بالكتابة من زمن دون أى وعي.

«في أكثر ما كتبت عبر السنين، كان الزمن يستأثر بناحية أساسية من تفكيري و خيالي، و أنا لا أعي. فأنا رغم اهتمامي منذ الصبي بالتاريخ، عربيا و عالميا. لم أكن أحدد لتفكيري و خيالي مساراً واعيا لأثر الزمن في ما أحاول من كتابات، إلى أن تراكم ما كتبت، و جعلت أرى هذا الخيط المتواتر فيه بوضوح متزايد في فترة متأخرة نسبيا من حياتي.» (جبرا، بلا، ٨٧).

إنه يذكر أن اختلاط الماضي بالحاضر و الارتداد الزمني من التقنيات الحديثة في الرواية، و على الروائي توظيفها في رواياته، يصرح حمود بأن جبرا يوضح للروائيين العرب الأخطاء التي يركبونها، و لذلك على أساس رأي جبرا يقول: «إذا عملية الارتداد الزمنية ليست أسلوباً آليا، يسلكه الروائي متى شاء وكيف يشاء، إذ عليه أن يحمل هذا الارتداد الزمني مضى دلالات توظف لخدمة المأزق الذي تعيشه الشخصية في الحاضر فيعمق صراعها أو يساعدها على تلمس طريقة انفراجه، هذا كله بحاجة إلى خبرة و ثقافة و تعمق في النفس البشرية.» (حمود، ١٩٩٧ م، ١٢٣) لذلك، على الكاتب أن لا- يتصوره فناً سهلاً؛ لأن القارئ الذي يقرأ قصة و لا يرى فيها شيئاً جديداً لا يحبه.و بما أنّ استخدام هذه التقنية الزمنية، حديثة فهذا الرأي رأي جديد أيضاً.

«رواية البحث عن وليد مسعود» بين الإبداع و النقد

هذا القسم من البحث، يتطرق إلى دراسة تطبيقية عن آراء جبرا حول الشخصية و الزمان في رواية «البحث عن وليد مسعود» لنلاحظ مدى تطبيق آراء جبرا في روايته هذه.

الشخصية

في دراسة شخصيات رواية «البحث عن وليد مسعود» يلاحظ بأن جبرا قد اختار الشخصيات من بين المثقفين، و أكثرهم من الكتاب و السياسيين (شخصية جواد حسني، إبراهيم الحاج أبونوفل،

وليد، و شخصية الدكتور طارق)، كانوا يعيشون في المجتمع العربي، و يعرفون آلام الشعب، و هم بسبب رحلاتهم إلى بلاد أوروبية و مطالعاتهم الكثيرة يعلمون ضعف المجتمع و يقدرون على مساعدته و إنقاذه.

وليد، هو الشخصية الرئيسية في الرواية، و الذي خاض في المجتمع، و قد أحسّ بمشاكل الناس، قدّمه جبرا نموذجا للشعب، عندما يتحدّث بعض أصدقائه عن سبب إختفائه، يذكرون بأن الظلم السائد على المجتمع و صمت الناس تجاهه كان يزعجه و هو لايتحمل مثل هذا الصمت فقرر بالهرب من المجتمع.

لعل أبرز سمات هذه الرواية توظيف تعدد الأصوات و أسلوبه هو جمع الشخصيات للمشاركة معاً في سبيل حلّ الأزمة.

كما ذكر أنّ الشخصية وسيلة كشف الحقيقة، فلذلك، في رواية «البحث عن وليد مسعود» يلاحظ جبرا استمدّ من الشخصيات للكشف عن المجهول الذي يكون سبب اختفاء وليد فنجح في توظيف هذه النظرية.

نجح جبرا، وفقاً على نظرياته النقدية عن الشخصية، في استخدام الشخصيات المثقفة في هذه الرواية، و نظريته النقدية الأخرى عن الشخصية، هي تركيزه على توظيف الشخصيات الواقعية في الرواية، و نرى هذا الأمر في هذه الرواية، شخصياتها شخصيات واقعية كانت تعيش في المجتمع، تدرك معاناة الشعب، و تخلفه، لأنها قد - سافرت إلى البلاد الأوروبية و قد شاهدت حضارتها المتقدمة، و حين مقارنتها مع المجتمع العربي كشفت عن تخلفه.

في أكثر رواياته، نجد تشابهاً بين جبرا و شخصياته الرئيسية في الرواية، و كان جبرا نفسه في آرائه النقدية يشدّ على انسجام شخصية الرواية مع شخصية الكاتب، و على أساس هذه النظرية نرى هذا التطابق في انسجام شخصية وليد مع شخصية جبرا نفسه، لأنه يعاني من المشاكل و وليد بصفته شخصية الرواية، يسأم عندما يشاهد الفقر و الظلم في مجتمعه.

كل روائي عريق و حاذق يصور نفسه في روايته، و يقال إن الروائي فيما يكتب، في الحقيقة، يكتب عن نفسه.فلذلك، عندما يسأل «گوستاو فلوبير» من هي مادام بوارى ؟ يقول: أنا مادام بوارى. (إيراني، ١٣٨٠ ه.ش، ٤٦٧-٤٦٨)

الزمن

الزمن عنصر تتحرك فيه الشخصيات و تحدث فيه الأحداث و من عناصر رئيسية.

إن جبرا كما يؤكد على استخدام تقنية الزمن و الاهتمام بها، خاصة، الاسترجاع؛ فلذلك في روايته «البحث عن وليد مسعود» كثيراً مايستعمل هذه التقنية، حيث إنه في البداية، يتحدّث عن الزمن الحاضر وبعد ذلك يرجع إلى الماضي، إنه يجمع الشخصيات لسمع الشريط الذي تركه وليد في سيارته، فوليد يرجع إلى الماضي و يتحدّث عن طفولته. ثم يقطع جواد الشريط و يتكلم مع أصدقائه حول كلام وليد و يرجع الزمن إلى الحاضر مرة أخرى. فلذلك جبرا يكرر هذه التقنية في روايته.

يصرح جبرا بأن توظيف الارتداد الزمني من العناصر الهامة في الرواية، و إنه استخدم هذه التقنية في هذه الرواية، و فيها يختلط الزمن الحاضر بالزمن الماضي.

إن الشخصيات تبحث عن وليد من خلال ذكرياتها في الماضي، إن الذاكرة قسم هام من الزمن، و جبرا قد اعتمد عليها بكثير لذكر الأحداث.

يستخدم جبرا لذكر الأحداث الأزمنة الثلاثة: الماضي البعيد (طفولته)، الماضي، و الحاضر، في روايته الزمن الماضي و الماضي البعيد متصل بالحاضر. (جنداري، ٢٠٠١ م، ٨٣). يلاحظ في هذه الرواية، جبرا قد نجح في استخدام تقنية الاسترجاع معتمدا على قوة الذاكرة وفقاً على ما أكد عليه في آرائه النقدية.

النتيجة

– إنّ جبرا في نظرياته يؤكد على الكاتب استخدام الشخصيات المثقفة و النخبة في المجتمع لمعالجة معاناة المجتمع و الشعب. فنحن نرى أنه اختار أكثر شخصياته من بين الشخصيات المثقفة في رواية «البحث عن وليد». و رأى جبرا هذا جديد لم يتصدّ له النقاد الآخرون.

– للشخصية في هذه الرواية دور فاعل؛ إنها قد احتلت حيزاً واسعاً و اعتمد على تعدد الأصوات و شخصيات متعددة لكشف الحقيقة. إنّ كل شخصياته في هذه الرواية ليست نامية متطورة، بل إنّ بعض الشخصيات يكتفي بالوصف و السرد فقط، في الواقع، هذه الرواية تخلو من الأحداث التي تحثّ إلى الحركة.

– جبرا في نظرته النقدية عن الزمن – كما أشرنا سابقاً – أكد على استخدام تقنية الاسترجاع، فيلاحظ في هذه الرواية سيطرة هذه النظرية. إنه قد نجح أن يربط الشخصية بالزمن، لأن ذاكرة الشخصيات هي استرجاع إلى الماضي.

المصادر و المراجع

- جبرا، جبرا إبراهيم، (١٩٩٢ م). «**معايشة النمرة و الأوراق الأخرى**»، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط ١.

- ــــــــــــ، (٢٠٠٧ م). «**البحث عن وليد مسعود**»، بيروت: دار الأدب، ط ٥.

- ــــــــــــ، (١٩٨٣ م). «**الأديب و صناعته**»، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط ٢.

- ــــــــــــ، «**تأملات في بنيان مرمرى**»، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية.

- جنداري، إبراهيم، (٢٠٠١ م). «**الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا**»، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، ط ١.

- خليل، إبراهيم، (٢٠٠١ م). «**جبرا إبراهيم جبرا الأديب الناقد**»، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط ١.

- حمدان، محمد صائل، (١٩٩١ م). «**قضايا النقد الحديث**»، الأردن: دار الأمل للنشر و التوزيع، ط ١.

- حمود، ماجدة، (١٩٩٧ م). «**علاقة النقد بالإبداع العربي**»، دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

- زيتوني، لطيف، (٢٠٠٢ م). «**معجم مصطلحات نقد الرواية (عربى، انكليزى، فرنسى)**»، بيروت: دارالنهار للنشر، ط ١.

- سليمان، نبيل، (٢٠٠٣ م). «**جماليات و شواغل روائية (دراسة)**»، دمشق: اتحاد الكتب العرب.

- عبيد، محمد صابر، (٢٠٠٨ م). «**أسرار الكتابة الإبداعية (عبدالرحمن الربيعى و النص المتعدد)**»، عمان- الأردن: جدار الكتاب العالمى، ط ١.

- العشماوي، محمد زكى، (٢٠٠٠ م). «**أعلام العربى الحديث و اتجاهاتهم الفنية (الشعر- المسرح- النقد- النقد الأدبى)**»، دار المعرفة الجامعية.

- عمار، عبدالرحمن، (٢٠٠٧ م). «**بنية التشابه بين المؤلف و شخصياته الروائية (دراسة نقدية)**» دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

- الحمدانى، حميد، (١٩٩٠ م). «**النقد الروائي و الإديولوجيا (سوسيولوجيا النص الروائي)**»، المركز الثقافي العربي، ط ١.

- هياس، خليل شكرى، (٢٠٠١ م). «**سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى و شارع الاميرات**»، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

- وادي، طه، (۱۹۹۶ م). «**الرواية السياسية**»، دار النشر للجامعات المصرية، ط ۱.
- أخوت، أحمد، (۱۳۷۱ ه.ش). «**دستور زبان داستان**»، تهران: نشر فردا.
- إيراني، ناصر، (۱۳۶۴ ه.ش). «**داستان: تعاريف، ابزارها و عناصر**»، تهران: كانون پرورش فكرى كودكان و نوجوانان.
- إيراني، ناصر، (۱۳۸۰ ه.ش). «**هنر رمان**»، نشر آبانگاه، چ ۱.
- براهنى، رضا، (۱۳۶۸ ه.ش). «**قصه‌نويسى**»، تهران: نشر البرز.
- بورنوف، رولان و رئال اوئله، (۱۳۷۸ ه.ش). «**جهان رمان**»، تهران: نشر مركز.
- بيشاپ، لئونارد،(۱۳۸۳ه.ش).«**درس‌هايى درباره‌ي داستان‌نويسى**» تهران: حوزه‌ى هنرى.
- پارسى‌نژاد، كامران، «**ساختار و عناصر داستان (طرح داستان)**»، مؤسسه‌ى انتشارات سوره.
- خسروى، ابوتراب، (۱۳۸۸ ه.ش). «**حاشيه‌اى بر مبانى داستان**»، تهران: نشر ثالث.
- داد، سيما، (۱۳۷۱ ه.ش). «**فرهنگ اصطلاحات ادبى**»، تهران: مروارید.
- دقيقيان، شيرين‌دخت، (۱۳۷۱ه.ش). «**منشأ شخصيت در ادبيات داستانى**»، بيجا: نويسنده.
- عبداللهيان، حميد، (۱۳۸۱ ه.ش)، «**شخصيت و شخصيت‌پردازى در داستان معاصر**»، تهران: انتشارات «آن»، چ ۱.
- فرد، رضا، (۱۳۷۷ ه.ش). «**فنون آموزش داستان كوتاه**»، تهران: اميركبير.
- مقدادى، بهرام، (۱۳۷۸ ه.ش). «**فرهنگ اصطلاحات نقد ادبى (از افلاطون تا عصر حاضر)**»، انتشارات فكر روز، چ ۱.
- ميرصادقى، جمال، (۱۳۸۰ ه.ش). «**عناصر داستان**»، انتشارات سخن، چ ۴.
- ـــــــــــــ، (۱۳۸۳ ه.ش). «**شناخت داستان (مجموعه‌ي تئورى داستان)**»، نشر مجال، چ ۱.
- يونسى، إبراهيم، (۱۳۸۴ ه.ش). «**هنر داستان‌نويسى**»، تهران: انتشارات نگاه.